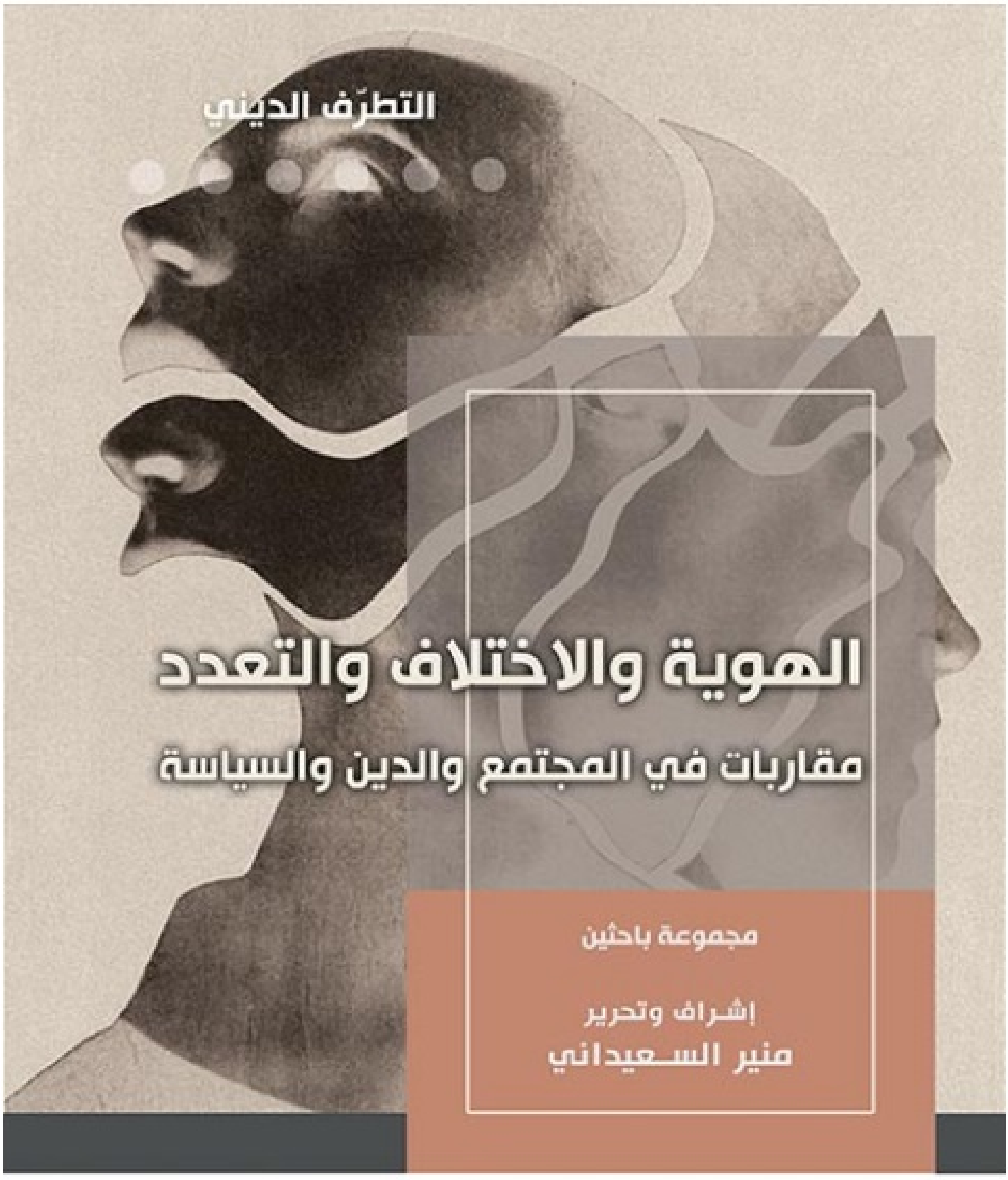

الهوية والاختلاف والتعدد

مقاربات في المجتمع والدين والسياسة

مجموعة باحثين

إشراف وتحرير
منير السعيداني

مؤمنون بلا حدود
للدراسات والأبحاث

مؤمنون بلا حدود

الهوية والاختلاف والتعدد

مقاربات
في المجتمع والدين والسياسة

مؤمنون بلا حدود

مشروع بحثي

التطرف الديني

الهوية والاختلاف والتعدد

مقاربات
في المجتمع والدين والسياسة

إشراف وتحرير

منير السعيداني

الباحثون المشاركون

مصطفى بن تمسك	محمد ياقين
بريجة شريفة	مها غازي
المنجي براهمي	حوكا بن أحمد
محمد النضر	مصطفى العوزي

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث

مؤمنون بلا حدود

المحتوى

المقدمة العامة 7

القسم الأول 17

الفصل الأوّل: التأويل الأنثروبولوجي للهوية الفردية الحديثة في مقاربة تشارلز تايلور

مصطفى بن تمسك 19

الفصل الثاني: الهوية والغيرية وقضايا التداخل الثقافي

محمد ياقين 49

الفصل الثالث: الهوية الثقافية بين استراتيجيات التشكيل ورهانات الصراع

بريجة شريفة 93

القسم الثاني 117

الفصل الرابع: في الصناعة الاجتماعية للهويات الدينية المتعصّبة

مها غازي 119

الفصل الخامس: الطائفية في المجال الإسلامي المعاصر

المنجي براهمي 157

مؤمنون بلا حدود

القسم الثالث 177

الفصل السادس: الجماعة ومنبوذوها

حوكا بن أحمد – محمد النضر 179

الفصل السابع: التنوّع الثقافي والتعصّب في سياق الهجرة الدولية

مصطفى العوزي 213

الفهرس 245

مؤمنون بلا حدود

القسم الثالث

مؤمنون بلا حدود

مؤمنون بلا حدود

الفصل السادس

الجماعة ومنبوذوها

دراسة في التشكل الثقافي لـــلاتسامح عند الإسلاميين المغاربة

حوكا بن أحمد[1] - محمد النضر[2]

الملخّص:

يشكل التسامح السياسي، منظوراً إليه من زاوية علم النفس، أحد الأعمدة الرئيسة للديمقراطية، لكنّه يتميز عنها، في الوقت نفسه، من حيث امتداده إلى حقول أخرى؛ فهو يرتبط بخصائص المنظومة القيمية للفرد، ويعكس قواه العاطفية والوجدانية، ويتصل بشكل وثيق بالاتجاهات الدينية والمذهبية. ويعود التسامح، في الواقع، إلى نمط التنشئة الاجتماعية التي يخضع لها الفرد، والشروط الاقتصادية والفكرية التي تتشكل فيها البنية النفسية للأفراد والجماعات. وتساهم هذه العوامل في تحديد مدى استعداد الفرد من الناحية السياسية للسماح للآخرين بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي يعارضها. وهذا هو المعنى الذي يعطيه لورانس سوليفان للتسامح السياسي.

مؤمنون بلا حدود

---

(1) باحث في علم الاجتماع السياسي، جامعة محمد الخامس، الرباط.
(2) باحث في العلوم السياسية، جامعة القاضي عياض، مراكش.

الانطباع الأوّلي الذي يتركه فحص هذا المفهوم في ضوء الأوضاع السياسية الراهنة في المجتمعات العربية على العموم، والمجتمع المغربي على الخصوص، قمين بإقناع الملاحظين بوجود أزمة في التسامح السياسي بوصفه منظومة أخلاقية وثقافية. وهو ما يعني أن المسألة تتعلق بمتلازمة ثقافية لم تستطع هذه المجتمعات التخلّص منها، على الرغم من أهمية موجات الحداثة السياسية التي هبّت، ولا تزال، على الجغرافيات الثقافية العربية.

تهدف هذه الورقة إلى فحص اتجاهات اللاتسامح عند (180) إسلامياً مغربياً يتوزّعون بين الجماعة السلفية، وجماعة العدل والإحسان، وجماعة الإصلاح والتوحيد. وتنطلق من فرضية مفادها أن اللاتسامح السياسي يتغذى من عاملين رئيسين، هما: التغريب والانزياح عن المألوف؛ أي عن المعايير التي تُجمع عليها الأمة.

ونربط دراستنا اللاتسامح عند الإسلاميين المغاربة بالتوجهات الثقافية الفردية، التي تتجسّد في أربعة ملامح تمّ بناؤها من لائحة ميلتون روكيتش للقيم الغائية والأداتية. ويتعلق الأمر بالملمح الجماعاتي الأخلاقي، والجماعاتي الأداتي، والفرداني الأخلاقي، والفرداني الأداتي.

الكلمات المفاتيح:

المجموعات المحبوبة بدرجة أقل، التغريب، الانزياح الثقافي، القيم الغائية، القيم الأداتية.

مقدّمة:

يواجه الاجتماع السياسي في المجتمعات العربية تحديات كبيرة. ومن المهم، في سياق العمل على تحديد تلك العقبات وفهمها وتحليلها، ألا يتمّ النظر إليها على أنّها ترتبط فحسب بتقاعس الطبقة السياسية عن وضع القوانين، والمؤسسات السياسية الكفيلة بإرساء المبادئ الديمقراطية؛ بل بافتراض أنها تمتدّ أيضاً إلى معضلات قد تهدّد بِعَقبَاتٍ كَأَدَاءٍ أمام الحوار والتفاهمات

العقلانية والمعقولة المرجوّة. ومن المهم أن يتمّ التوجّه، في توسيع النظر إلى التحديات القائمة، إلى البحث في إمكانية وجود نكوص نحو المشاعر الفطرية، وانبعاث للنوازع الأولية في الأنسجة الاجتماعية، التي تفتقد إلى تقليد راسخ من المشاعر المدنية قد يزداد تكراره كلّما أبانت التحولات عن تهديد حقيقي للثوابت الدينية والثقافية والسياسية. وبالفعل، اعتيد النظر إلى هذه النوازع بوصفها الخزان الأساسي الذي يزوّد النزاعات الاجتماعية بنصيب وافر من غرائز الموت القابلة للتجدد الفوري كلّما «فرضت» شروط الاحتقان الاجتماعي والسياسي ذلك. ويُضاف إلى ذلك اعتبار الدين، في بعده الهوياتي، مثله مثل اللغة والعرق، منتمياً إلى سجل المشاعر الفطرية، وعلى ذلك هو يشتغل عادةً على شاكلة استعدادات كامنة سرعان ما تنفلت من عقالها حينما يضعف منسوب رأس المال الاجتماعي الأفقي، وتنحلّ أواصر المناعة المدنية في الثقافة السياسية الوطنية. تزداد المعضلة حدةً كلّما نحا الدين نحو التوظيف السياسي في الصراع من أجل السلطة؛ حيث يغذي في هذه الحالة مشاعر الإقصاء واللاتسامح ضد المجموعات السياسية الأخرى.

وجهة التحليل، التي نتخذها، تنطلق من معاينة تزامن بروز الإسلام السياسي مع الانفصال التدريجي للدين الإسلامي عن جذوره الثقافية المحلية؛ حيث انزوى همّ الخلاص في الآخرة إلى أدنى المراتب، واكتست إرادة الله وظيفة سياسية معلنة. ويبدو أن الدين، الذي تصوره إرنست غيلنر على أنه مسودة للتلاحم الاجتماعي تصهر الأضداد وتجمع المتناقضات الاجتماعية، قد تغيّرت وظائفه التنفيسية؛ حيث تحوّل جزء كبير منه من تلبية الحاجيات الإثنو-سيكولوجية[1] إلى إسلام حركي، مختلف المرجعيات وعابر للأوطان، يهدف إلى إرضاء التطلّعات السياسية لمجموعات وزعماء باسم إرادة الله. وفي ذلك يحتلّ اللاتسامح موقعاً مركزيّاً.

(1) Capranzano, V., The Hamadsha. A study in Moroccan Ethnopsychiatry, Berkeley, Los Angeles, University of California Press, 1973, p.283.

أوّلاً: في الإشكالية وأطر معالجتها:

1- الأسئلة الرئيسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى بحث منسوب اللاتسامح السياسي عند أعضاء ثلاث جماعات إسلامية في المغرب، ويتعلق الأمر بالسلفية المغربية، وجماعة العدل والإحسان، وجماعة التوحيد والإصلاح. ويتم ذلك من خلال السعي إلى تقديم إجابات دقيقة عن الأسئلة المركزية الآتية:
- ما المخزون الذي يستمدّ منه الإسلاميون المغاربة مكونات مواقفهم من «منبوذيهم»؟
- إلى أيّ مدى تحتمل مواقف الإسلاميين تلك منسوباً من التسامح؟
- ما المتغيّرات الثقافية (سياسية، دينية، سوسيو-ديمغرافية) التي يتغيّر بفعلها ذلك المنسوب؟

وعلى ذلك يروم البحث، أيضاً، وضع اليد على الفروقات المسجلة في هذا الشأن بين الجماعات قيد الدراسة.

2- الإطار النظري للدراسة:

مع صعود الإسلام السياسي، تحوّلت علاقة الإسلام بالعنف إلى موضوع ذي شرعية أكاديمية فائقة. ويكفي المرء أن ينظر إلى حجم المؤلفات الإلكترونية عبر (Google Books) لكي يدرك الذروة التي وصلتها الأبحاث في هذا الشأن. وفي المنحنى أسفله، يتضح تصاعد الإنتاجات الفكرية حول علاقة الإسلام بالعنف خلال سبعينيات القرن العشرين، كما يتضح تصاعد ثانٍ في اهتمام الأوساط الأكاديمية بالمسألة منذ بداية الثمانينيات ذات القرن وصولاً إلى مستهلّ القرن الواحد والعشرين:

رسم 1- موضوعة الإسلام والعنف حسب موقع
Google Books Ngram Viewer[1]

ومن الواضح أن هذه المعاينة الإحصائية تفتح الباب أمام نظر في المسألة من منظور التسامح/اللاتسامح على اعتبار العنف مظهراً من مظاهرها. ومن المفضّل في هذا الخصوص أن يتوجّه المرء إلى الدراسات التي لامست، بشكل مباشر، مواقف اللاتسامح، حيث يحصل على خلفية نظرية مناسبة للبحث.

بالعودة إلى خمسينيّات القرن الماضي، التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، نلاحظ أنها مرحلة تاريخية عرفت نشر أعمال مرموقة حول الشخصية

(1) راجع الموقع الإلكتروني الآتي:
https://books.google.com/ngrams/graph?content=Islam+and+violence&year_start=1800&year_end=2000&corpus=15&smoothing=3&share=&direct_url=t1%3B2CIslam%20and%20violence%3B2Cc0#t1%3B2CIslam%20and%20violence%3B2Cc0-0

الديمقراطية والسلطوية[1]، بدءاً ممّا كان على أيدي عالم السياسة الأمريكي ويليام ستوفر من دراسة لمشاعر التسامح. وقد درس الباحث في متن هذا العمل درجة تسامح المواطنين الأمريكيين تجاه الشيوعيين والاشتراكيين والملحدين وبعض المجموعات القريبة منهم، بهدف معرفة مدى قبول المستجوبين بتمتّع هذه المجموعات، التي يبدو عليها أنها «غير محبوبة»، بالحريات المدنية والسياسية على غرار باقي أفراد المجتمع الأمريكي. وخلصت دراسة هذه الاتجاهات عند عيّنة تقارب (2400) مبحوثاً من المواطنين العاديين، و(1500) زعيماً محليّاً إلى انتشار اللاتسامح في أوساط المجتمع الأمريكي. ويعتقد ستوفر أن الرغبة في تجريد المجموعات غير المحبوبة من حقوقها السياسية يرجع إلى تمثلها من طرف المبحوثين مصدراً للخطر على المجتمع الأمريكي في تلك المرحلة بالذات، التي عرفت صعوداً للمدّ الاشتراكي عبر العالم، وتوظيفاً مكثّفاً لذلك من طرف الإعلام الأمريكي في الدعاية السياسية المضادة. وبصرف النظر عن الانتقادات التي وجهت إلى هذه الدراسة، لا تزال تغذّي التصور الذي يحكم العديد من المسوح والقياسات حول درجة التسامح السياسي على امتداد العالم[2].

ينتقد ويليام لورانس سوليفان وزملاؤه تصوّر ستوفر، معتبرين أنه لا يعكس في الواقع جوهر التسامح/اللاتسامح السياسي. فالتركيز على مجموعات سياسية واجتماعية ذات توجهات يسارية لا يعطي فكرة واضحة حول حجم مشاعر اللاتسامح الكامنة فعلياً في المجتمع طالما لم يتمّ إدراج فئات أخرى

(1) من بين هذه الأعمال، يمكن الرجوع، مثلاً، إلى:

- Lasswell, H., «Democratic character», published in the Political writing of H. Lasswell. The Free Press, 1951, pp. 465-525.

- Adorno, T., et al, The authoritarian Personality. New York, Harper, 1950, p.990.

(2) Gibson James L., «Alternative Measures of Political Tolerance: Must Tolerance be "Least-Liked"?», American Journal of Political Science, Vol. 36, No. 2 (May, 1992), pp.560-577.

لا تنتمي بالضرورة إلى طيف سياسي معيّن[1]. فالنتائج التي توصّل إليها ستوفر تبقى في نظرهم مجرد اتجاهات ومواقف ليس هناك ما يفيد بأنها تعبّر عن اللاتسامح السياسي. ولتجاوز هذه النقائص، اقترح سوليفان وزملاؤه خطة بديلة تتأسّس، في المقام الأوّل، على تعريف للتسامح السياسي بكونه توجهاً إيجابياً نحو السماح بالتعبير السياسي لفائدة المصالح والآراء والأفكار التي تتعارض مع معتقداتنا ومصالحنا[2]. وفي المقام الثاني، تتجسد الخطة في تحديد الجانب الإجرائي من خلال جرد المبحوثين للائحة من المجموعات التي يكرهونها وينفرون منها. وتغطّي اللائحة، التي اقترحها الباحثون على المبحوثين، أطيافاً مختلفةً من المجموعات المنبوذة اجتماعياً، كما تُعطي الفرصة للمستجوبين لإضافة فئات أخرى من اختيارهم. كما يطلب الاستجواب منهم أيضاً التعبير عن مدى معارضتهم أو قبولهم تقلّد المجموعات التي ينفرون منها مناصب سياسية ووظائف عمومية ترتبط بالتنشئة الاجتماعية، وكذلك إبداء رأيهم حول مسألة ممارسة هذه المجموعات حقوقَها السياسية، كالقيام بالتظاهرات الاحتجاجية على سبيل المثال. وأطلق سوليفان على هذه المقاربة اسم «المجموعة المحبوبة بدرجة أقل» (Least-liked group)، ويرى أنها تشكل بديلاً قياسياً عن منهجية ستوفر، بفضل اعتمادها مقياساً للتسامح مبنياً على ضبط المحتوى (Content-controlled Measure).

وبالاعتماد على نتائج بحوثهم، حاول سوليفان وزملاؤه بناء نموذج نظري للمتغيرات التي تتحكم، بشكل مباشر أو غير مباشر، في مشاعر التسامح/اللاتسامح، وتوصلوا إلى تأكيد دور العوامل الإيديولوجية والنفسية والدينية، إضافة إلى معطيات ديمغرافية (العمر) والوضع الاجتماعي

(1) Sullivan, John L.; Piereson, James E.; and Marcus, George E. «An Alternative Conceptualization of Political Tolerance: Illusory Increases 1950s-1970s», The American Political Science Review, Volume 73, Issue 3, (Sep 1979), pp.781-794.

(2) Ibid, p.784.

والمستوى التعليمي[1]. ومن أجل قياس درجة التسامح/اللاتسامح السياسي عند العيّنة المبحوثة، تمّ استعمال صورة مكيفة لمقياس المجموعات المكروهة بدرجة أقل، وهي الأداة نفسها المستعملة في المسح العالمي للقيم، الذي يشمل المغرب وبلدان عربية أخرى. ويتعين على كل مستجوَب ضمن هذه البلدان أن يحدّد، أوّلاً، إن كان ينفر من الشيعة، والاشتراكيين، وأعضاء الحركة الأمازيغية، والمدافعين عن الرأسمالية الليبيرالية، والمسيحيين، ومن الحركة السلفية الجهادية، ومن المدافعين عن الإجهاض، والمهاجرين القادمين من جنوب الصحراء، والمثليين الجنسيين، والملحدين، واليهود. وبإمكان المستجوَب أن يضيف مجموعات أخرى لم ترد في اللائحة، وأن يبيّن درجة معارضته ممارسةَ هذه المجموعات وظائف سياسية وبيروقراطية وحقوقاً سياسية، كالمشاركة في التظاهرات مثلاً.

ونعتمد، في دراستنا، أغلب عناصر هذا التحليل، مع العمل على تحيينه؛ حيث تقوم على فرضية مفادها أن عناصر جماعات الإسلام السياسي في المغرب يقبلون قواعد الديمقراطية في معناها التقني، ولكن يعسر عليهم الاعتراف بحقوق سياسية ومدنية لصالح المجموعات التي يكرهونها، كما أنهم يعارضون تقلّد هذه المجموعات مناصبَ سياسية وبيروقراطية، أو وظائف مرتبطة بالتربية والتنشئة الاجتماعية. أمّا الافتراض الثاني، فمفاده أن هذه الخطاطة لا تنطبق بتماثل على جميع الإسلاميين في علاقة بعامل ثقافي يمكن تفريعه إلى متغيرين، هما الانتماء الحركي (متغير إيديولوجي)، والخصائص الذاتية-النفسية لكل مبحوثين (متغيّر شخصي يرتبط بالتنشئة).

3- الإطار المنهجي للدراسة:

تتكون عينة دراستنا من (180) مبحوثاً ينتمون بالمقدار نفسه (60

(1) John L. Sullivan, George E. Marcus, Stanley Feldman, James E. Piereson, «The Sources of Political Tolerance: A Multivariate Analysis», The American Political Science Review, Vol. 75, No. 1. (Mar., 1981), pp.92-106.

مبحوثاً) إلى كلّ جماعة من جماعات «العدل والإحسان» و«السلفية» و«التوحيد والإصلاح». ويتوزّع المبحوثون جغرافياً بين مناطق ومدن: سلا، والدار البيضاء ومراكش. وينتظمون من زاوية المتغيرات الديمغرافية وفق الجداول الآتية:

جدول 1- توزيع عينة الدراسة حسب السن

السن	النسبة المئوية %
أقل من 30 سنة	53,1
بين 30 و 45 سنة	39,3
أكثر من 45 سنة	7,5
المجموع	100

جدول 2- توزيع عينة الدراسة حسب الجنس

الجنس	النسبة المئوية%
الذكور	73,4
الإناث	26,6
المجموع	100

جدول 3- توزيع عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي

المستوى الدراسي	النسبة المئوية %
الابتدائي	1
الثانوي	16,7
الجامعي	82,3
المجموع	100

للإجابة عن إشكالية الدراسة وفحص فرضياتها، تمّ إدراج سلسلة من المتغيرات المستقلّة المتوقع تأثيرها في متغير التسامح/اللاتسامح السياسي. ويلخّص الجدول الآتي العوامل المعتمدة في التحليل:

جدول 4- ما اعتمدته الدراسة من عوامل وترجمتها إلى متغيرات:

العوامل	المتغيرات
العوامل الديمغرافية والاقتصادية	العمر، المستوى التعليمي، الدخل، الوضع الاقتصادي، المهنة، الحالة العائلية (زواج، عدد الأطفال،...)
العوامل الثقافية	القيم الغائية والأداتية[1]، نسق القيم الأخلاقي والأداتي[2]
العوامل السياسية	الكفايات الديمقراطية التصريحية والإجرائية[3]
العوامل الدينية	درجة التدين، منسوب التشدد[4]

وقد تمّ تحليل المعطيات باستعمال حزمة الأدوات الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Spss)، وكذلك برنامج (Amos)، من أجل اختبار العلاقات البنيوية بين المتغيرات قيد الدراسة.

(1) Rokeach, Milton. The Open and Closed Mind. Basic Books, Inc.: New York, 1960, xv + 447 pages.

(2) Steven J. Musser, Eric A. Orke, «Ethical Value Systems: A Typology», the Journal of Applied Behavioral Science, Vol 28, Issue 3, 1992, pp.348-362.

(3) Torney-Purta, J., Lehmann, R., Oswald, H., and Schulz, W., «Citizenship and Education in Twenty-eight Countries: Civic Knowledge and Engagement at Age Fourteen», The International Association for the Evaluation of Educational (Competences civiques), 2001.

(4) Batson, C. D., & Ventis, W. L, The religious experience: A social-psychological perspective. New York, Oxford University Press, 1982, p.368.

ثانياً: التديّن والتسامح والبيذاتية في المغرب:

بيّنت لنا دراسات سابقة، عملنا فيها على رصد مظاهر الكراهية في المجتمع المغربي، تغلغل مشاعر النفور والإقصاء في الخريطة النفسية للمغاربة. كما لاحظنا انصباب العدوانية على فئات لا تحظى بالقوة الاجتماعية والديمغرافية اللازمة لصدّ إسقاطات الوعي الجمعي. وعددنا ذلك علامة على استشراء الشخصية السلطوية في السياق المغربي[1]. كما شهدت خطابات إثنوغرافية وأنثروبولوجية، جعلت من الاجتماع موضوعاً لها، على تعدد مظاهر اللاتسامح، وعلى أنها تتجاوز المختلفين في الملّة والدين لتشمل المختلفين في اللون واللغة والعرق؛ بل القبيلة والمجال[2] وعلى الرغم من كثافة الانتقادات القدحية التي دأب المثقفون المغاربة على توجيهها إلى هذه الكتابات، فإن العناصر التي كشفت عنها بالغة الأهمية في فهم مواقف المغاربة واتجاهاتهم نحو ما هو غير مألوف[3]. وقد لاحظ غيرتز أن الأسلوب التديّني لدى المغاربة، الذي أعلن عن زواله إبّان الاحتلال الفرنسي، لا يزال موجوداً في كلّ مكان؛ حيث ظلّت التقوى الخارجية، وعنف الطبع الديني، والرغبة في تأكيد الذات، تمنع المتديّن المغربي من تسامي الروح، ونكران الذات، والاتحاد في الله مع الأجناس الأخرى، ومعانقة الكونية[4]. ويظهر المبيان أسفله كيف يتموقع المغاربة بالنسبة إلى

(1) Hougua, B. A., «Autoritarisme de droite et action collective dans le contexte culturel Marocain : Données empiriques et leçons sur le " le printemps arabe"», in : Bennis, S &Tarik, H (éds), Trajectoires de la vie et de la science : sur la fondation et lřengagement, les sciences sociales et la réflexion sur la politique, lřEtat et les politiques, hommage au professeur Abdellah Saaf, Publication de la revue Marocaine des politiques publiques, Tome II, 2016, pp.29-50.

(2) Rachik, H., Le proche et le lointain, un siècle d'anthropologie au Maroc, Paris, Editions parenthèses, 2012, p.288.

(3) بارك العديد من فرسان العدالة والتنمية مقتل السفير الروسي في تركيا على إثر حادث إرهابي، فانتهى الأمر ببعضهم في السجن قبل أن يصدر عفو ملكي في حقهم.

(4) Geertz, C., Islam observed, Religious Development in Morocco and Indonesia, The University of Chicago Press, Chicago & London, 1971, p.144.

القيم الدنيا للإنسية (موقف مركّب)[1] حسب المسح الدولي للقيم الذي يخص المجتمع المغربي[2]؛ حيث لا تتجاوز نسبة المستجوَبين الذين يتطلعون إلى الإنسية (10%)، بينما تصل الفئة المضادة لهذا التوجه إلى (70%).

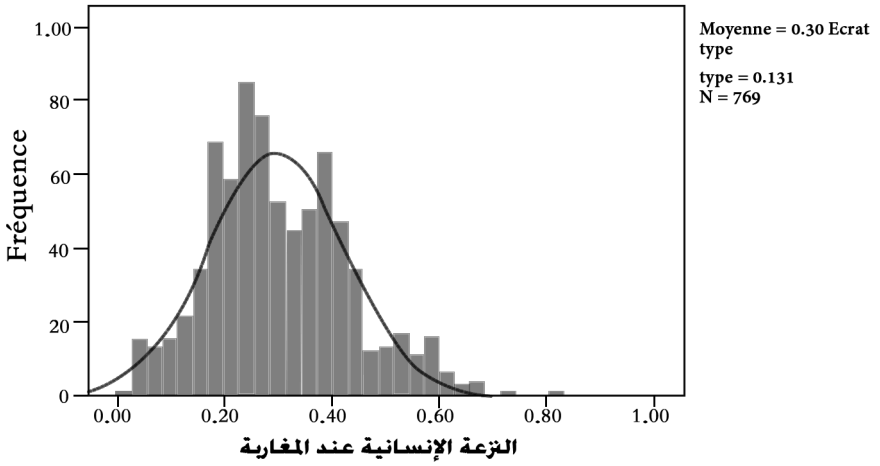

رسم1- توزيع المغاربة حسب النزعة الإنسية

وبحسب إدوارد سعيد، توجد في صلب كل نزعة إنسية أنثروبولوجيا فلسفية تتعارض مع الأخلاق الائتمارية الحاضرة بقوة في الأديان والتقاليد[3]. وفي حالة الإسلام، باءت بالفشل تلك المحاولات التي كانت تروم تخليص الأخلاق من قبضة الدين، مع استثناءات قليلة[4]؛ حيث ظلّ التسامح بوصفه

(1) Welzel, C., Freedom Rising: Human Empowerment and the Quest for Emancipation, Cambridge, Cambridge University Press, 2013, p.480.

(2) World Values Survey Wave 6, 2010-2014 Official Aggregate v.20140429. World Values Survey Association (www.worldvaluessurvey.org). Aggregate File Producer: Asep/JDS, Madrid Spain.

(3) Edward, S., Humanism and democratic criticism, New York, Columbia university Press, 2004, p.154.

(4) Arkoun, M., Humanisme et islam. Combats et propositions, Paris, Vrin, 2005, p.315.

مبدأً أخلاقياً كونياً، في تعارض مع التأويل الأرثوذكسي، الذي استنفذ النص الإسلامي المقدّس من خلال الاستحواذ عليه. وعلى الرغم من الانفتاح الذي عرفه المغرب جرّاء تعرّضه لموجات تحديث متتالية، يبيّن الجدول أسفله، المستوحى من المعطيات الكمية لموجات المسح الدولي حول القيم (2001-2011م)، بأن معظم المغاربة يرفضون جوار المجرمين وشاربي الخمر والمضطربين عقلياً والمصابين بالإيدز والمثليين والسياسيين المتطرّفين، ويقبلون نسبيّاً المهاجرين والأقلّيات الدينية واللغوية.

جدول 5- نسبة النفور من المجموعات المنبوذة عند المغاربة

المجموعات	لا يرغب في جواره %	يرغب في جواره %
الأشخاص الذين لديهم سجل جنائي	68,30	31,70
أشخاص من عرق مختلف	16,82	83,18
مدمنو الخمر	81,99	18,01
أشخاص ليس لديهم استقرار عاطفي	71,53	28,47
المهاجرون والعمال الأجانب	18,05	81,95
المصابون بمرض السيدا	65,18	34,82
مدمنو المخدرات	87,61	12,39
المثليون الجنسيون	89,31	10,69
أشخاص من ديانة مختلفة	27,76	72,24
السياسيون المتطرفون	78,75	21,25
المهرّبون	92,70	07,30

مؤمنون بلا حدود

المجموعات	لا يرغب في جواره %	يرغب في جواره %
رجل وامرأة غير متزوجين ويعيشان معاً	72,07	27,93
أشخاص يتكلمون لغة مختلفة	18,67	81,33

تعطي هذه النتائج فكرة أوّلية حول التباعد بين الأسلوب التديّني لدى المغاربة والاستعداد للتعايش مع «مكروهين» اجتماعيين وأخلاقيين وسياسيين... إلخ. ومن العمق الهوياتي لهذا الأسلوب، يمتدّ الأثر إلى المبادئ العملية التي تحكم البيذاتية في السياق المغربي. يقول غليفورد غيرتز[1]:

«في المغرب، تبدو مجمل الحياة اليومية دهرانية بما فيه الكفاية لتناسب العقلاني الجموح. فالاعتبارات الدينية، في شدّتها، لا تغطي سوى مناطق محدودة جداً من السلوكات والمواقف؛ بحيث يصبح المرء أكثر قسوة في التعاملات التجارية والشؤون السياسية، وهو ما يذكر، في شكلها الفظيع، بذلك المزيج العجيب من التقوى الشخصية والعنف المهني الذي نلقاه عند رجال العصابات الأمريكيين».

وعلى الرغم من أهميتها التحليلية، تميل هذه الاستنتاجات-الملاحظات إلى اتخاذ صيغة النماذج المثالية التي تنطبق على جموع وفئات من دون أن تتوجّه إلى مسلم مغربي معيّن على وجه التحديد. عملياً وفي مجريات الحياة اليومية، لا تخلو خبرات المغاربة من معطيات تؤكّد صلاحية ملاحظات غيرتز مثلاً. فقد فطن منهم العديدون، بفضل تجاربهم اليومية، كيف يَحْذَرُونَ من المتعاملين معهم، حتى إن كانوا من ذوي اللحية أو السبحة. ولكن ما يهمنا أكثر، من منظور دراستنا، هو أن تجسدات اللاتسامح هذه، التي أشار

(1) Geertz, C., Islam observed, op.cit, pp.112-113.

إليها غيرتز، تعدّ نظيراً غير سياسي لما يعدّه جون راولز أساساً أخلاقياً لنقاش عمومي عادل بين مذاهب متعارضة ولكنها معقولة[1]. ويشكل صنو التسامح السياسي هذا، إضافةً إلى الثقة ورأس المال الاجتماعي، أحد الأسس النفسية الرئيسة للديمقراطية[2]. فكيف يمكن تطبيق هذا الانتقال من التديّني- المعاملاتي اليومي إلى السياسي في ما يهمّ مواقف الإسلاميين المغاربة من المجموعات المنبوذة؟

ثالثاً: من أين يأتي تهديد الإسلام؟

ينهل الإسلام السياسي دوافعه الوجدانية ومكوّناته المعرفية في مسألة التعامل مع الغيرية من المنظومات الإيديولوجية، التي جعلت من الإسلام عقيدة سياسية تتوخّى تطبيق إرادة الله. وإذا كانت هذه المنظومات الفكرية عابرة للمجتمعات، بحكم التوسّع الحاصل لوسائط التواصل الاجتماعي والدعم المادي والرمزي، فإن دور الشيوخ والزعماء الدينيين كان فعّالاً في ذلك منذ بروز ما سُمّي الصحوة الإسلامية[3].

وتشير الدراسات في هذا الشأن إلى أن مفردات تلك المنظومات الإيديولوجية، من اتجاهات وأفكار ومواقف، ذات وقع أعمق كلّما زادت المعاناة الاجتماعية والاقتصادية للمرشحين لتبنّيها، وقلّت أمامهم الفرص الكفيلة بتحسين أوضاعهم المعيشية[4]. أمّا في مستوى ترجمة تلك المنظومات

(1) Rawls, J., The Law of The Peoples With The Idea Of Public Reason Revisited, Cambridge, MA, Harvard UP, 2003, pp.151-152.

(2) Sullivan J. L., & Transue, J. E. The psychological underpinnings of democracy : A selective review of research on political tolerance, interpersonal trust, and social capital, Annual review of psychology, Vol. 50, 1999, p.625.

(3) غولد، دور، مملكة الكراهية؛ كيف دعمت العربية السعودية الإرهاب العالمي الجديد، ترجمة محمد جليد، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2014م، 446 صفحة.

(4) Dialmy, A., La fabrique de l'islamisme marocain. Prèmiere édition, Casablanca, Les Éditions Toubkal, 2016, p.259.

في مواقف سياسية، فتبين نتائج الجدول أسفله بأن التسامح/اللاتسامح السياسي لا يسير دائماً في انسجام مع مستويات التسامح/اللاتسامح الاجتماعي العام.

جدول 6- نسبة النفور من المجموعات التي تشكل تهديداً عند الإسلاميين

المجموعة	الجواب	النسبة المئوية %
الشيعة	لا أنفر منهم	22,6
	أنفر منهم	77,4
الشيوعيون	لا أنفر منهم	58,4
	أنفر منهم	41,6
أعضاء الحركة الأمازيغية المتطرفون	لا أنفر منهم	29,8
	أنفر منهم	70,2
المدافعون عن الرأسمالية الليبرالية	لا أنفر منهم	54,1
	أنفر منهم	45,9
المسيحيون	لا أنفر منهم	66,9
	أنفر منهم	33,1
المدافعون عن الإجهاض	لا أنفر منهم	35,1
	أنفر منهم	64,9
المهاجرون القادمون من جنوب الصحراء	لا أنفر منهم	86,2
	أنفر منهم	13,8
المثليون الجنسيون	لا أنفر منهم	12,5
	أنفر منهم	87,5

مؤمنون بلا حدود

المجموعة	الجواب	النسبة المئوية %
الملحدون	لا أنفر منهم	17,0
	أنفر منهم	83,0
اليهود	لا أنفر منهم	39,0
	أنفر منهم	61,0

جدول 7- نتائج التحليل العاملي للمجموعات المنبوذة

التحليل العاملي للمكونات الأساسية		
	المكونات	
	1	2
الشيعة	0,755	
دعاة الإجهاض	0,697	
الشيوعيون	0,570	
الأمازيغيون الراديكاليون	0,567	
المهاجرون الأفارقة		0,731
الليبراليون		0,626
المسيحيون		0,589
المثليون		0,483

وينسجم ذلك مع اللوحة العامة؛ إذ على الرغم من الطبيعة المعيارية للمزاج الديني لدى المغاربة، تظلّ علاقة التدين الشعبي باللاتسامح متذبذبة[1].

(1) Tessler, M., «Islam and Democracy in the Middle East: The Impact of Religious Orientations on Attitudes towards Democracy in Four Arab Countries», Comparative Politics, Vol. 34, N. 3, 2002, pp.337-354.

وممّا يجسد ذلك ما يقوله أحد أعضاء الجماعة السلفية في المغرب في شأن الحقوق السياسية للأقليات[1]:

«نحن يجب أن نسمع صوت هؤلاء، ضروري. الآخر نصراني، يهودي، شيعي، الأفضل لي أن أتركه على جنب أو أن أقرّبه إلي، ليس بأن أشركه في العمل السياسي لكي يحكم، لا، بل لأجعله بوابة لي، أو نافذة لأعرف ما هو الفكر السياسي لدى هؤلاء الفئة، حتى إذا كان القرار الذي سوف أقرّر به شيئاً معيناً، تكون عندي بوابة أنفتح بها على هاته الجهة».

إن السؤال الرئيس الذي يلازم البحث في ظاهرة اللاتسامح يدور حول البنية العقلية المسؤولة عن النفور من المجموعات التي ينظر إليها على أنها تهديد. ومن أجل الإجابة عن هذا السؤال في ما يهم الإسلاميين المغاربة، تمّ فحص البنية العاملية لمقياس سوليفان المكيف باستعمال التحليل العاملي للمكونات الأساسية، وقد أبانت النتائج عن انتظام معظم المجموعات في عاملين اثنين يفسران (46%) من التباين الإجمالي (الجدول رقم 7 أعلاه). والعاملان هما: الخروج عن المألوف والتغريب.

ورغبة منا في التأكد من مصداقية النتائج، لجأنا إلى التحليل العاملي التوكيدي باستعمال (Amos 22). وقد أسفر التحليل عن الاحتفاظ بالعاملين المذكورين، مع هامشية بعض المجموعات كالشيعة والمثليين والمهاجرين الأفارقة. وقد بلغت المؤشرات الإحصائية مستويات عالية[2]. ويبيّن الرسم أسفله النتائج المحصلة عليها:

(1) مقابلة أجريت مع المبحوث في مدينة تطوان، بتاريخ 1 كانون الأول/ ديسمبر 2016م، الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً.

(2) Gaskin, J. & Lim, J. (2016), "Model Fit Measures", AMOS Plugin. http:// statwiki.kolobkreations.com/index.php?title=Main_Page

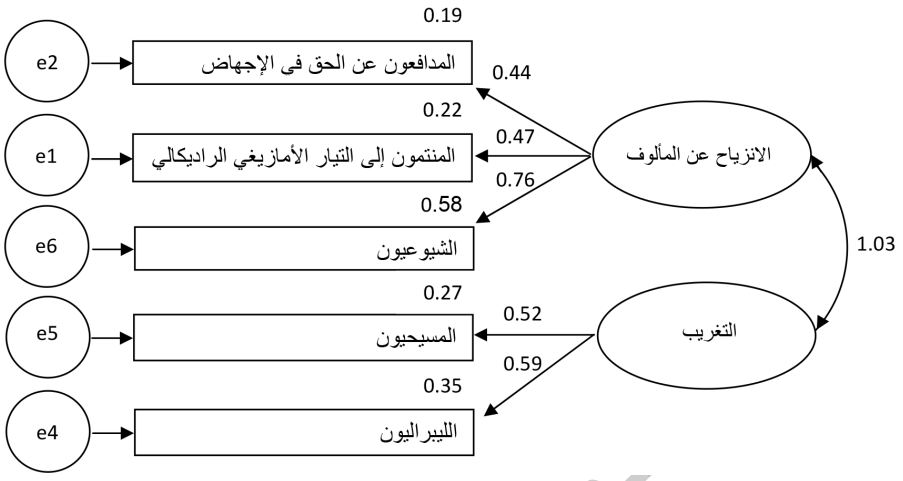

رسم2- نتائج التحليل العاملي التوكيدي لمقياس سوليفان المكيف

المؤشر	المقدار	العتبة	الجودة
CMIN	**4,095**	..	
DF	**4**	..	
CMIN/DF	**1,024**	**بين 1 و3**	**ممتاز**
CFI	**0,996**	**> 0,95**	**ممتاز**
SRMR	**0,026**	**< 0,08**	**ممتاز**
RMSEA	**0,009**	**< 0,06**	**ممتاز**
PClose	**0,709**	**> 0,05**	**ممتاز**

أكد التحليل العاملي التوكيدي أن المجموعات المنبوذة تنتظم حسب أثر العاملين الرئيسين؛ حيث يهمّ العامل الأول المدافعين عن الحق في الإجهاض، والمنتمين إلى التيار الأمازيغي الراديكالي إضافة إلى الشيوعيين. أمّا العامل الثاني، فيهم المسيحيين والليبراليين.

وحين نفحص العامل الأول يتضح أن ما يجمع بين مكوناته في نظر الإسلاميين يتجسد في الخروج عن المعايير العامة التي تحكم الانتماء إلى الأمة الإسلامية. فالفرد لا ينتمي تلقائياً إلى أمة الإسلام بمجرد توحيده لله وإيمانه برسله وأنبيائه؛ وإنما من خلال «عدم الإتيان بما يهدد الثوابت اللغوية والثقافية والسياسية والجنسية للإسلام». إن دعاة الإجهاض والشيوعيين والراديكاليين الأمازيغيين يمثلون، من وجهة نظر المبحوثين الإسلاميين، ما يسميه الدكتور أحمد أغبال الانزياح عن المألوف[1]. ويتعلق الأمر ببنية عقلية إقصائية تنتج آثاراً وخيمة على مستوى الاجتماع السياسي، حينما تشتغل على مستوى قطاعات واسعة من المجتمع. لقد أجهضت تدخلات الإسلاميين، في مرحلة إعداد مشروع دستور (2011م)، مجموعة من الحقوق الثقافية والمدنية، باعتبارها تضرب ثوابت الأمة المغربية المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية.

أمّا العامل الثاني، فيطرح إشكالية أعقد على مستوى التأويل. فكيف تجمع أجوبة الإسلاميين بين مجموعتين متناقضتين ظاهرياً في عامل واحد؛ أي بين المسيحيين والليبراليين؟ تقبع وراء هذه الإجابات بنية ثقافية تشكلت في خضم الصراع بين الإسلام والغرب على شاكلة زوج تقابلي بين دار الإسلام ودار الحرب. وقد ساهمت هذه الثنائية، بما رافقها من استيهامات تاريخية، في بناء خيال الإنسان المسلم تجاه الحضارة الأوربية «الكافرة».

رابعاً: محددات النفور من المجموعات المنبوذة عند إسلاميي المغرب:

ومع ذلك، لا يمكن وضع الإسلاميين، جماعات أو فرادى، فيما يتعلق بمسألة التسامح، في سلة واحدة؛ إذ تؤكد دراسات أن النخب، مثلاً، أكثر

(1) تكلف الدكتور أحمد أغبال، بعد إجراء التحليل العاملي التوكيدي، بدراسة النتائج المحصل عليها، وتأويل العاملين المذكورين في اتجاه الانزياح عن المألوف والتغريب، له جزيل الشكر بخصوص إثارة انتباهنا إلى العمق الثقافي والتاريخي لهذين العاملين.

قبولاً للغيرية السياسية مقارنة بالأتباع[1]، وهي نخب عادة ما تكون مدفوعة، على الأقل، إلى أن تكون أكثر واقعية؛ لأنها أكثر دراية بأغوار الممارسة السياسية، وما تقتضيه من تحالفات وتنازلات تجعل التعامل مع الخصوم ضرورة لا مفرّ منها.

وإذا كان بالإمكان النظر إلى مجموعات البحث تمثيلاً، لدرجة الاندماج في الحقل السياسي، وما يرتبط بذلك من توزيع للمنافع والمصالح والمناصب، فإن جماعة التوحيد والإصلاح، بدرجة أكبر، ستمثل الجماعة الأقل تعبيراً عن اللاتسامح مقارنة بالسلفية. ولا تختلف في ذلك مع العدل والإحسان نظراً لتجربة هذا الفصيل الإسلامي في التحالفات مع أطياف اليسار الراديكالي والمعتدل، وانخراط أعضائه في تنظيمات جمعوية ونقابية ذات مرجعية يسارية. يقول أحد قادة العدل والإحسان بخصوص التعامل مع الأقلّيات[2]:

«**من الغباء أن الإسلاميين يسارعون إلى الاستحواذ، ولو عرض عليهم في طبق من ذهب وفي أريحية، سنطالب أن نكون جزءاً من باقي الأجزاء من المجتمع. نبني مع هؤلاء الناس بيئة عمل مشترك، تبدأ، قبل العمل السياسي، بعمل آخر، وهو تحضير نفسي وتحضير عقلي للتعايش. هل هناك أحد يتصور أن يجلس عضو من العدل والإحسان مع عضو من النهج الديمقراطي؟**».

وإذا كان التغلغل في مفاصل الدولة، بالنسبة إلى جماعة التوحيد والإصلاح

(1) راجع على سبيل المثال:

- McClosky H, Zaller J., The American Ethos. Cambridge, MA: Harvard Univ. Press, 1984, p.342.

- Sullivan JL, Walsh P, Shamir M, Barnum DG, Gibson JL. «Why politicians are more tolerant: selective recruitment and socialization among political elites in Britain, Israel, New Zealand, and the United States», British Journal of Political Science, Vol 23, Issue 1, Jan 1993, pp.51-76.

(2) مقابلة أجريت مع المبحوث في مدينة تمارة، بتاريخ 10 كانون الأول/ ديسمبر 2016، الساعة الحادية عشرة صباحاً.

المرتبطة بحزب العدالة والتنمية، الذي قاد ولايتين حكوميتين منذ (2011م)، قد أدى دوراً في الواقعية السياسية لأعضائه، في انتظار أفق سياسي غير معلوم، فإن جذور جماعة السلفية وطبيعة التكوين الإيديولوجي لأعضائها قد جعلها تحتل مواقع عليا على مستوى النفور من المجموعات التي تمثل التغريب والانزياح عن المألوف. وتكشف نتائج التباين ($P < 0.001 ; F = 28,86$) عن مواقع المبحوثين الإسلاميين على مقياس الجماعات المنبوذة لسيلفان وزملائه:

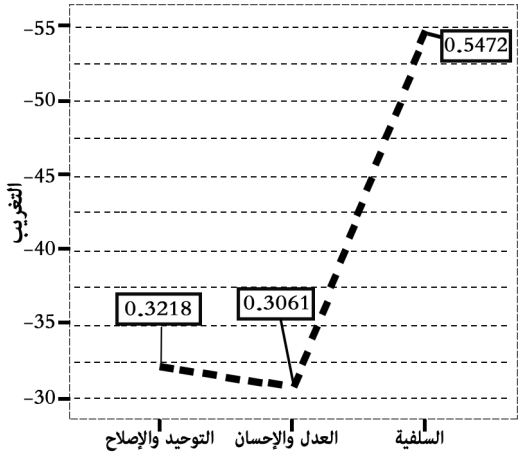

رسم 3- الانزياح عن المألوف عند الجماعات الثلاث

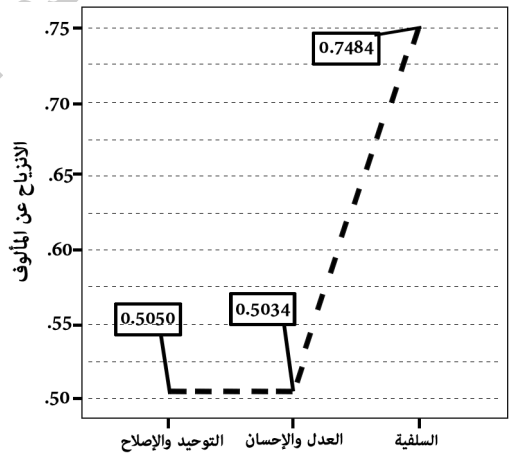

رسم 4- التغريب عند الجماعات الثلاث

على المستوى الفردي، يميل النفور من المجموعات التي تشكل تهديداً في نظر الإسلاميين إلى التأثّر بالمنظومة القيمية التي تندرج داخلها دوافع المبحوثين. ولدراسة كيفية تأثير القيم الثقافية في الاتجاه نحو التسامح السياسي، تمّ تمرير لائحة مكيفة من القيم الأداتية والغائية لميلتون روكيش[1] على المبحوثين المنتمين إلى الجماعات الثلاث.

يمكن تقسيم القيم الأداتية إلى منظومتين رئيستين: منظومة ترتكز على أخلاق مجموعة الانتماء، ومنظومة أخرى تجعل من الفعالية الذاتية المرتكزة على مؤهلات الفرد أساساً لها. أمّا القيم الغائية، فيمكن التمييز بداخلها بين القيم الشخصية التي تدور حول الفرد وأهدافه الذاتية والقيم الاجتماعية التي تروم تحقيق أهداف جماعية.

وباعتماد منهجية ستيفن موسر وزملائه[2]، تمّ تقسيم المبحوثين، حسب درجة استجابتهم لفقرات المقياس، إلى أربعة ملامح، يوضحها الجدول الآتي:

جدول 8- التوجهات الثقافية عند العينة المبحوثة من الإسلاميين

القيم الغائية	القيم الأداتية		
		أخلاقية	مهاراتية
	فردية	الفرداني الأخلاقي	الفرداني الأداتي
	اجتماعية	الجماعاتي الأخلاقي	الجماعاتي الأداتي

تسمح هذه المنهجية بإبراز أربعة توجهات ثقافية في أوساط المبحوثين الإسلاميين:

(1) Rokeach, M., The Nature of Human Values, New York, Free Press, 1973, p.438.

(2) Steven J. Musser, Eric A. Orke, «Ethical Value Systems: A Typology», the Journal of Applied Behavioral Science, op.cit.

- الجماعاتي الأخلاقي: الذي يستعمل وسائل ومعايير أخلاقية لتحقيق أهداف المجموعة التي ينتمي إليها، ويمثل ما يقارب (24,92%) من العيّنة المبحوثة.
- الفرداني الأخلاقي: يستعمل هو أيضاً معايير أخلاقية لتحقيق أهدافه الخاصّة، ويمثل ما يقارب (22,95%) من العيّنة.
- الجماعاتي الأداتي: الذي يستعمل مؤهلاته وكفاءته الشخصية لتحقيق أهداف المجموعة التي ينتمي إليها. ويمثل هذا الملمح (26,56%) من العدد الإجمالي للمبحوثين.
- الفرداني الأداتي: الذي يعتمد على قدراته الذاتية في تحقيق أهدافه الخاصة. يمثل هذا النموذج (25,57%) من المستجوبين الإسلاميين.

من المفترض أن توجد فروق إحصائية بين الملامح الأربعة فيما يخص النفور من المجموعات التي تمثل تهديداً، ومن المرجح أيضاً أن يتفوق ذوو المعايير الأخلاقية على مقياس سيلفان. تؤكد نتائج تحليل التباين هذه التوقعات فيما يتعلق بالانزياح عن المألوف ($F = 4.29 ; p < 0.01$)؛ حيث يتقدّم الفرداني الأخلاقي والجماعاتي الأخلاقي على الملمحين الآخرين. وتبدو هذه النتائج منطقية باعتبار أن الانزياح عن المألوف يتعارض بالدرجة الأولى مع الأشخاص ذوي الدوافع التي تنهل من التوجهات المعيارية التي تتبنّاها الجماعة، وذلك عكس الأشخاص الأداتيين الذين يرمون إلى تحقيق غاياتهم عبر المؤهلات الشخصية والفعالية الذاتية. أمّا فيما يخص التغريب، فلم يسجّل التحليل الإحصائي المعتمد فروقاً بين الملامح الأربعة ($F = 2.28 ; p > 0.05$). ويبين الرسم أسفله الفروقات المسجلة على المتغير المرتبط بالخروج عن المألوف:

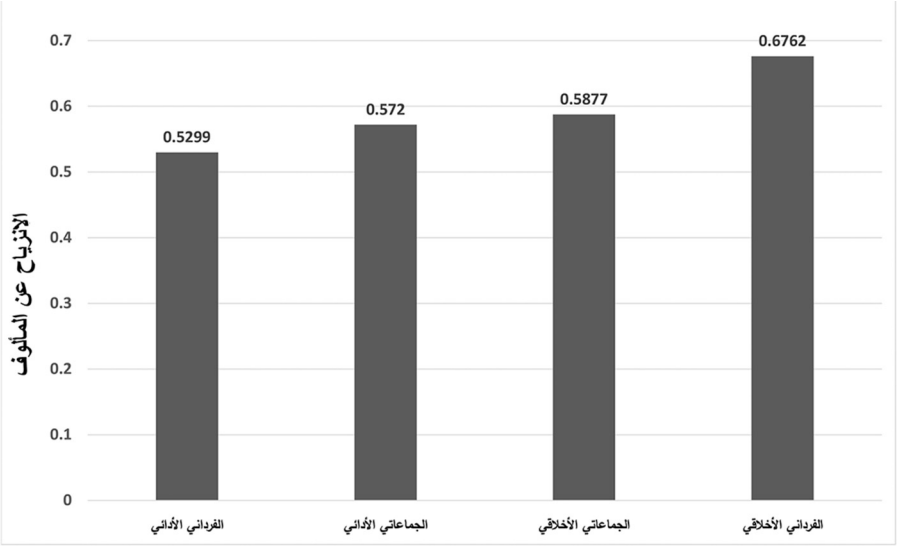

رسم 5- الانزياح عن المألوف عند الإسلاميين

إضافة إلى التوجهات الثقافية للمبحوثين، يتأثر الاتجاه نحو التسامح بالعديد من المتغيرات الديمغرافية والنفسية. وقد كشف تحليل الارتباطات عن وجود علاقة ارتباط عكسية بين المستوى التعليمي والوضع الاجتماعي ومعدلات النفور من المجموعات قيد الدراسة. وأوضحت النتائج أيضاً ارتباطات موجبة لهذا النفور مع التديّن المتشدّد وكفايات المواطنة التصريحية منها والإجرائية.

ويبدو، من خلال النمذجة البنائية المعتمدة لدراسة التوسطات بين هذه المتغيرات باستعمال برنامج[1] (Process)، أن ضعف المستوى التعليمي والكفاية الديمقراطية التصريحية يساهم بشكل مباشر وملحوظ في ارتفاع مشاعر النفور من المجموعات التي تمثل التغريب، وترمز إلى الانزياح عن المألوف، بينما نرى أن تأثير الكفاية الديمقراطية الإجرائية لا تمارس أيّ تأثير مباشر. ويلاحظ، من جهة أخرى، أن التديّن الشديد يرفع من منسوب

(1) Hayes, A. F., Introduction to mediation, moderation and conditional process analysis: A regression-based approach, New York, The Guilford Press, 2013, p.507.

اللاتسامح والنفور من المجموعات التي تشكل تهديداً. ويعني ذلك أنّ معضلة التسامح في وسط الإسلاميين ترتبط، بالدرجة الأولى، بنمط معيّن من المعارف التي تفتقد في منهجية بنائها إلى الحسّ النقدي واستعمال الحجاج المؤدّي إلى فحص الرأي الآخر، ومناقشة الحجج التي يستند إليها من الناحية العقلية. ويوضح الرسم أسفله مسارات النموذج الافتراضي للعوامل المتحكمة في الموقف من المجموعات المحبوبة بدرجة أقل وفق التعبير الناعم للورانس سوليفان:

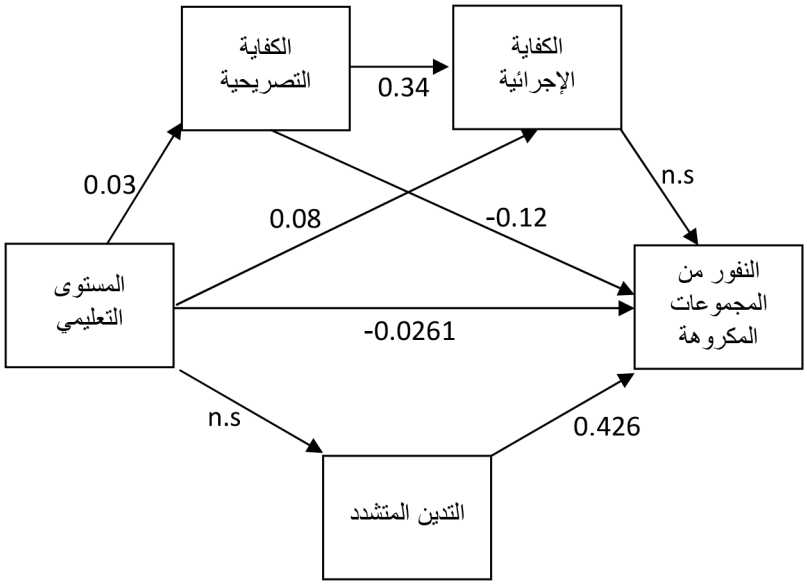

رسم 6- العوامل المؤثرة في النفور من المجموعات المنبوذة في وسط الإسلاميين

خاتمة:

خلاصة استنتاجاتنا هي أن مشاعر اللاتسامح لا ترتبط بمجموعات منبوذة بعينها، ولكن قائمة، حيث بإمكانها أن تجد لها هدفاً لها مجموعة أو أخرى، باعتبار ما تفرزه تطورات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في كلّ مرحلة معيّنة. وينسجم ذلك مع القاعدة التحليلية التي تقرّ بأن المشاعر العدوانية

تبحث لها دائماً عن موضوع بديل للصراعات الداخلية التي تفتك بالديناميات النفسية للشخص غير المتسامح، وغالباً ما يكون هذا الموضوع مرتبطاً بالسياق الاجتماعي العام، ويمكن أن يتجسد في موضوع سياسي يتمّ تعيينه على أسس فكرية، أو إيديولوجية، أو اعتقادية، قد تمتدّ جذورها الثقافية والنفسية إلى قرون خلت. هذا هو شأن التغريب الذي ظلّ على امتداد التاريخ الإسلامي الحديث يشكل بوتقة لانفلات مشاعر الكراهية تجاه فئات اجتماعية وطوائف دينية ظلت تتلون على وقع تطورات الأحداث السياسية العربية، وعلى الأخص منها تلك التي لها علاقة بالحضور الأوربي في مختلف مظاهر حياة المسلمين. وعلى هذه الخلفية، يتمثل دور الإسلام السياسي في توظيف هذا المكون الثقافي بشكل مكثف، وتوجيهه نحو التوجهات الأكثر راديكالية، أو الأكثر اعتدالاً، متحوّلاً من الأقصى إلى الأقصى حسب تموجات ضرورات حشد الأتباع، وتحديد الأعداء.

أمّا الخروج عن المألوف، فقد عرف محتواه تحولات مورفولوجية جذرية عبر التاريخ القيمي والأخلاقي للعرب والمسلمين. ولكن الثابت في قاموس الإسلام السياسي هو أن التعايش مع الغيرية المذهبية، أو الإثنية المختلفة، يكون أيسر ما لم يتعارض مع الجوهرانية الاعتقادية والمعيارية التي من خلالها يؤولون الإسلام معتمدين عناصر اللغة والانتماء الإثني-العنصري. وتتلازم تلك الجوهرانية مع الاعتقاد في الدونية الاعتقادية والمعيارية؛ أي الرمزية لغير المسلمين عامّةً من الأمم والشعوب والأقوام والإثنيات وصولاً إلى القبائل والعشائر... على ذلك يبدو لنا أن في قلب البناءات التاريخية-الاجتماعية للغير يوجد المخزون الذي يستمد منه الإسلاميون المغاربة مكوّنات مواقفهم من «منبوذيهم» على هيئة بنية تراصفية تنتج مستويات متدرّجة من التسامح تقابلها موجات متلوّنة من الكراهية يتمّ وضعها وتعهدها وصيانتها ونفخها في أفئدة الأتباع. ولكن كلاً من الوضع والتعهد والصيانة والنفخ يحتمل على الدوام منسوباً، يزيد أو يقلّ، من

التسامح، زيادةً ونقصاناً يتأثران بالمتغيرات الثقافية (سياسية، دينية، سوسيو-ديمغرافية).

إن السؤال الأساس، الذي يتعلق بمجريات الممارسة السياسية العربية الحديثة ومدى عمق الظواهر الديمقراطية ورسوخها فيها، ذو مساس بموجات التحديث التي ظلت تخضع لها الأجيال الشابة من العرب على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين على الأقل. ومفاد السؤال هو مدى ما أحدثته تلك الموجات من تغيير في الخرائط العقلية والثقافية للشباب العربي والمسلم من مجندي الإسلام السياسي، على اعتبار أن من شأن عوامل التحديث المختلفة أن تعيد صياغة علاقة الذات مع الغير، ولاسيّما حينما تتوافر مؤسسات سياسية عادلة كما يقول بول ريكور. فالمناخ السياسي والمؤسساتي المتسم بالديمقراطية والإنسية والعدالة يساعد في بناء اجتماعي متسامٍ للغيرية بمختلف ألوانها.

إن السؤال ينصبّ على الاستعمال السياسي للإسلام في بلد مثل المغرب، وعلاقته بسجل النوازع الفطرية، وكيفيات تحويلها إلى مستوى المذاهب السياسية المعقولة الكفيلة بتأثيث المجال العام بقيم الاختلاف والثقة الأخلاقية في الغيرية[1]. ومن المعلوم أن تقييمات كثيرة ترى، في هذا الخصوص، أن الإسلام السياسي لم يفعل إلا إضافة مسحة السلطوية المحافظة[2] على مكيافيلّية السلط العربية الإسلامية المختلفة. وعلى ما يبدو ليس ذلك خاصاً بالإسلاميين حينما تعلق الأمر بمواجهة حركة اجتماعية تبين بعد مأسستها لاحقاً أنها تخلّت عن عقيدة البلانكية[3]، وأضحت تشكو هي

(1) John Rawls, Libéralisme politique, Paris, éd.2, PUF, 1995, p.450.

(2) Altemeyer, B., Right-wing authoritarianism. Winnipeg, Canada: University of Manitoba Press, 1981, p.352.

(3) El Maslouhi, Abderrahim, «La gauche marocaine, défenseure du trône. Sur les métamorphoses d'une opposition institutionnelle», L'Année du Maghreb [En =

الأخرى من أعراض سلطوية اليسار[1]، الذي تقمّص مكيافيلّية الأمير[2]، وتعاطى هو أيضاً أخلاق العائلية من دون عقدة ذنب[3].

إذا صحّ انتقالنا من مظاهر التدين إلى مظاهر التسييس/التسيس التي كنا بصددها، صار ممكناً لنا أن نفهم بشكل أفضل مجمل السلوكيات والمواقف وردود الأفعال السياسية التي تسم الحياة السياسية العربية منذ عشريات «الصحوة الإسلامية». لقد صبّ الإسلام السياسي الزيت على ثقافة سياسية كانت تعاني، في الأصل، من توهج أعراض مرضية متعددة. وإذا صح ما كنّا فيه من الربط بين المستويات الفردية والجماعية، صار أيسر لنا أن نفهم كيف، على المستوى الفردي، أبان الإسلاميون، في سلوكاتهم ومواقفهم الواقعية، عن الاستعاضة عن الأخوة في الوطن بالأخوة في الجماعة[4]، وصار أيسر لنا أن نفهم الآلية التي من خلالها أمكن لتبخيس الذات المجنّدة سياسياً وعقدياً أن تتجاوز عجزها الإنجازي في فضاء الحياة العامة منذ أن وجدت لمنبوذيّتها المستبطنة تعويضاً مزدوجاً؛ من خلال حب الله والإخوة في الجماعة من جهة، ومن خلال المساهمة في إعلاء الضغينة ضد أعداء الله بمشاربهم الثقافية والإيديولوجية المختلفة[5]. على خلفية آلية النبذ الإقصائي/

---

ligne], V | 2009, mis en ligne le 01 novembre 2012, consulté le 01 octobre 2017. URL : http://anneemaghreb.revues.org/485 ; DOI : 10.4000/anneemaghreb.485 =

(1) Stone, W. F., & Smith, L. D. "Authoritarianism left and right". In W. F. Stone, G. Lederer, & R. Christie (Eds.), Strengths and weaknesses: The authoritarian personality today. New York: Springer-Verlag, 1993, p.277.

(2) Christie, R., Geis, F., Studies in Machiavellianism. New York, Academic Press, 1979, p.430.

(3) حوكا (بن أحمد)، الزياني (عثمان)، «أخلاق العائلية ومستقبل الديمقراطية في العالم العربي»، دراسة قيد النشر.

(4) Elahmadi M., Le Mouvement Yasiniste, Casablanca, Moultaka, 2006, p.230.

(5) Ruth Stein, «Le mal comme amour et libération : l'état d'esprit d'un terroriste religieux kamikaze», Revue française de psychanalyse 2002/3 (Vol. 66), pp. 897-921. DOI 10.3917/rfp.663.0897

التقريب الإدماجي هذه، يمكن أن يفهم المرء كيف تتخذ نصرة الأخ في الجماعة شكل عقيدة سياسية ودينية مكرسة[1] ولئن كان هذا هو المبدأ الباطني الذي يحكم طبيعة تفاعل الإسلام السياسي مع البيذاتية فقد تبيّنا أن ثمّة احتمالاً معقولاً لوجود فروق داخل الجماعات السياسية الدينية الإسلامية في التعامل مع الغيرية؛ وعلى الأخص كلما انعدم التوافق بين التبريرات الإطلاقية المعتمدة في تجنيد الأتباع مع حقيقة الممارسة السياسية بما لا يستثني حقيقة الشيوخ والزعماء المتلاعبين بالعقول «المغفلة»[2].

ولكن، وتوسيعاً لمشمولية استنتاجاتنا، يمكن أن نعدّ أن رفع الارتباطات الجماعاتية-الحزبية، سواء أكانت دينية، أم غير دينية، إلى مستوى الموجه للسياسي في المجتمع، مع ما يقتضيه من حيلولة دون انتقال سلس إلى العوالم الرحبة للحس المدني، يعدّ خير مثال على النزوع المرضي الذي يتربص بالاجتماع السياسي من زاوية المشاعر الغريزية.

❊ ❊ ❊

(1) AGHBAL A., Hlaoua A. «Un comité islamiste de lutte contre la débauche à Aïn Leuh: radioscopie du règlement d'un conflit ordinaire», In : le Maroc au présent d'une époque à l'autre, une société en mutation

Baudouin Dupret, Zakaria Rhani, Assia Boutaleb et Jean-Noël Ferrié (dir.), Casablanca, Centre Jaques Berques, 2015, pp.893-903.

(2) Cherkaoui, M., «Le fondamentalisme islamique: Esquisse d'une interprétation», in Commentaire, N. 114, Paris, été 2006, p.274.

المراجع

- حوكا (بن أحمد)، الزياني (عثمان)، «أخلاق العائلية ومستقبل الديمقراطية في العالم العربي»، دراسة قيد النشر.
- غولد، دور، مملكة الكراهية: كيف دعمت العربية السعودية الإرهاب العالمي الجديد، ترجمة محمد جليد، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2014م، 446 صفحة.
- Adorno, T., et Al, The authoritarian Personality. New York, Harper, 1950, p.990.
- AGHBAL A., Hlaoua A. «Un comité islamiste de lutte contre la débauche à Aïn Leuh. Radioscopie du règlement d'un conflit ordinaire», In, Le Maroc au présent d'une époque à l'autre, une société en mutation.
- Altemeyer, B., Right-wing authoritarianism. Winnipeg, Canada: University of Manitoba Press, 1981, p.352.
- Arkoun, M., Humanisme et islam. Combats et propositions, Paris, Vrin, 2005, p.315.
- Batson, C. D., & Ventis, W. L, The religious experience. A social-psychological perspective. Oxford University Press, 1982, p.368.
- Capranzano, V., The Hamadsha. A Study in Moroccan Ethnopsychiatry, Berkeley, Los Angeles, University of California Press, 1973, p.283.
- Cherkaoui, M., «Le fondamentalisme islamique: Esquisse d'une interprétation», in Commentaire, N. 114, Paris, été 2006, p.274.
- Christie, R., Geis, F., Studies in Machiavellianism. New York, Academic Press, 1979, p. 430.

- Dialmy, A., La fabrique de l'islamisme marocain. Prèmiere édition, Casablanca, Les èditions Toubkal, 2016, 259 pages.
- Said, Edward, Humanism and Democratic Criticism, New York, Columbia University Press, 2004, p.154.
- El Maslouhi, Abderrahim, «La gauche marocaine, défenseure du trône. Sur les métamorphoses d'une opposition institutionnelle», L'Année du Maghreb [En ligne], V | 2009, mis en ligne le 01 novembre 2012, consulté le 01 octobre 2017. URL: http://anneemaghreb.revues.org/485; DOI: 10.4000/anneemaghreb.485
- El Ahmadi M., Le Mouvement Yasiniste, Casablanca, Moultaka, 2006, p.230.
- Gaskin, J. & Lim, J. (2016), "Model Fit Measures", AMOS Plugin.
- Geertz, C., Geertz, C., Islam Observed. Religious Development in Morocco and Indonesia, The University of Chicago Press, Chicago & London, 1971, p.144.
- Gibson James L, «Alternative Measures of Political Tolerance. Must Tolerance be "Least-Liked"?», American Journal of Political Science, Vol. 36, No. 2 (May, 1992), pp.560-577.
- Hayes, A. F., Introduction to Mediation, Moderation and Conditional Process Analysis. A regression-based approach, New York, The Guilforg Press, 2013, p.507.
- Hougua, B. A., «Autoritarisme de droite et action collective dans le contexte culturel Marocain. Données empiriques et leçons sur le ''le printemps arabe"», in: Bennis, S &Tarik, H (éds), Trajectoires de la vie et de la science : sur la fondation et l'engagement, les sciences sociales et la réflexion sur la politique, l'Etat et les politiques, Hommage au Professeur Abdellah Saaf, Publication de la Revue Marocaine des politiques publiques, Tome II, 2016, pp.29-50.
- John L. Sullivan, George E. Marcus, Stanley Feldman, James E. Piereson, «The Sources of Political Tolerance. A Multivariate Analysis», The American Political Science Review, Vol. 75, No. 1. (Mar., 1981), pp.92-106.
- John RAWLS, Libéralisme politique, Paris, éd.2, PUF, 1995, p.450.

- Lasswell, H., «Democratic character», In, The Political Writings of H. Lasswell. The Free Press, 1951, pp. 465-525.
- McClosky H, Zaller J., The American Ethos. Cambridge, MA: Harvard Univ. Press., 1984, p.342.
- Rachik, H., Le proche et le lointain. Un siècle d'anthropologie au Maroc, Paris, Editions parenthèses, 2012, p.288.
- Rawls, J., The Law of The Peoples with The Idea Of Public Reason Revisited, Cambridge, MA, Harvard UP, 2003, pp.151-152.
- Rokeach, M., The Nature of Human Values, New York, Free Press, 1973, p.438.
- Rokeach, Milton. The Open and Closed Mind. Basic Books, Inc.: New York, 1960, xv p. 447.
- Stein Ruth, «Le mal comme amour et libération : l'état d'esprit d'un terroriste religieux kamikaze», Revue française de psychanalyse 2002/3 (Vol. 66), p.897-921. DOI 10.3917/rfp.663.0897
- Steven J. Musser, Eric A. Orke, «Ethical Value Systems. A Typology», The Journal of Applied Behavioral Science, Vol 28, Issue 3, 1992, pp.348-362.
- Stone, W. F., & Smith, L. D. "Authoritarianism left and right". In W. F. Stone, G. Lederer, & R. Christie (Eds.), Strengths and Weaknesses. The Authoritarian Personality Today, New York: Springer-Verlag, 1993, p.277.
- Sullivan J. L., & Transue, J. E., "The psychological underpinnings of democracy. A selective review of research on political tolerance, interpersonal trust, and social capital'', In, Annual Review of Psychology, Vol. 50, 1999, 625 pages.
- Sullivan JL, Walsh P, Shamir M, Barnum DG, Gibson JL. «Why politicians are more tolerant? Selective recruitment and socialization among political elites in Britain, Israel, New Zealand, and the United States», British Journal of Political Science, Vol 23, Issue 1, Jan 1993, pp.51-76.
- Sullivan, John L.; Pierson, James E.; and Marcus, George E. «An Alternative Conceptualization of Political Tolerance: Illusory

Increases 1950s-1970s», The American Political Science Review, Volume 73, Issue 3, (Sep 1979), pp.781-794.

- Tessler, M., «Islam and Democracy in the Middle East: The Impact of Religious Orientations on Attitudes towards Democracy in Four Arab Countries», Comparative Politics, Vol. 34, N. 3, 2002, pp.337-354.
- Torney-Purta, J., Lehmann, R., Oswald, H., and Schulz, W., «Citizenship and Education in Twenty-eight Countries: Civic Knowledge and Engagement at Age Fourteen», The International Association for the Evaluation of Educational (Competences civiques), 2001.
- Welzel, C., Freedom Rising: Human Empowerment and the Quest for Emancipation, Cambridge, Cambridge University Press, 2013, p.480.

❊ ❊ ❊

عوامون بلا حدود